

Humanities and Educational
Sciences Journal

ISSN: 2617-5908 (print)



مجلة العلوم التربوية
والدراسات الإنسانية

ISSN: 2709-0302 (online)

الحيل في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجاً(*)

د/ جميل صالح محمد فرحان
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
جامعة تعز - اليمن

تاريخ قبوله للنشر 2/8/2025

<http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index>

(*) تاريخ تسليم البحث 29/4/2025

(*) موقع المجلة:

الحيل في القرآن الكريم سورة يوسف أنموذجاً

د/ جميل صالح محمد فرحان

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
جامعة تعز - اليمن

الملخص

هدف البحث إلى معرفة دراسة موضوع الحيل في القرآن الكريم في ضوء سورة يوسف عليه السلام كنموذج تطبيقي، وذلك من خلال تحليل الحيل الواردة فيها، واستنباط الدروس والعبر منها مع بيان أنواع الحيل وأحكامها الشرعية، وتكمن أهمية البحث في التركيز على جزئية الحيل في سورة يوسف، والتي لم تحظ بدراسة مستقلة رغم ارتباطها الوثيق بالسلوك الإنساني، واعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي كمنهج أساس مع الاستعانة بمناهج البحث الأخرى، كالتحليلي التفسيري، حيث تم تتبع الآيات المتعلقة بالحيل في سورة يوسف عليه السلام ودراستها دراسة تفصيلية، وتكون البحث من أربعة مباحث رئيسية هي: المبحث الأول: تعريف الحيل لغةً واصطلاحاً، وبيان الألفاظ ذات الصلة، وأنواع الحيل وأسبابها، والمبحث الثاني: دراسة الحيل في سورة يوسف - عليه السلام - مثل: حيلة إخوة يوسف، وحيلة امرأة العزيز، وحيلة يوسف - عليه السلام، والمبحث الثالث: تم فيه تحليل الأساليب المتبعة في تنفيذ الحيل، سواءً قبل الحيل أو أثناءها أو بعدها، وفي المبحث الرابع: تم بيان القرائن التي اشتملت عليها سورة يوسف، والتي من خلالها تم الاستدلال على فضح المحتالين، مثل: اتهام المحتال لنفسه، أو تحافت حججه.

وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج منها:

- ١- أن الحيل لا تدم ولا تمدح جملةً، بل يعتمد في الحكم عليها على النية والهدف والنتيجة المترتبة.
 - ٢- أن التمييز بين الأبناء قد يؤدي إلى العداوة والحقد، وقد يدفع إلى ارتكاب الجرائم.
 - ٣- أن المبادرة باقتراح العقوبة قد تكون إحدى حيل المحتالين لصرف الأنظار عنهم.
- وقد أوصى الباحث الدارسين ولفت انتباههم لأهمية دراسة القصص القرآني، واستنباط ما فيه من الدروس والعبر، خاصة ما يتعلق بالحياة اليومية والتعاملات الإنسانية.
- الكلمات المفتاحية:** الحيل، سورة يوسف، القرآن الكريم، الأساليب، القرائن.

Tricks in the Holy Quran Surat Yusuf as a model

Dr. Jameel Saleh Mohammed Farhan

Assistant professor of the Holy Qur'an, Interpretation
and Sciences, Taiz University - Yemen

Abstract

This research aims to study the topic of tricks in the Holy Quran in light of Surah Yusuf (peace be upon him) as an applied model. This is achieved by analyzing the tricks contained therein, deriving lessons and morals from them, and clarifying the types of tricks and their legal rulings.

The important of the research comes from that it focus on the subject of tricks in Surah Yusuf, which has not received independent study despite its close connection to human behaviours.

To achieve this goal and highlight its importance, the researcher relied on the inductive approach as the primary method, along with the assistance of other research methods, such as analytical and others. Verses related to tricks in Surah Yusuf (peace be upon him) were tracked and studied in detail.

Regarding the research structure, the research consists of four main sections:

The first section: defining tricks linguistically and technically, explaining related terms, and identifying the types and causes of tricks.

The second section examines tricks in Surat Yusuf (peace be upon him), such as the trick of Yusuf's brothers, the trick of the Aziz's wife, and the trick of Yusuf (peace be upon him).

The third section analyzes the methods used to implement tricks, whether before, during, or after them.

The fourth section presents the evidence contained in Surat Yusuf, which can be used to expose tricksters, such as the trickster's self-accusation or the weakness of his arguments.

The research concludes with a number of findings:

- 1- Tricks are neither condemned nor praised altogether, but rather are judged based on the person's intention, the goal, and the resulting outcome.
- 2- Discrimination among children leads to enmity and hatred and may even lead to the commission of crimes.
- 3- Initiating a punishment may be one of the tricks of tricksters used to divert attention from themselves.

The researcher recommended that the Ministry of Education to include more Quranic stories in school curricula, presenting them in an attractive manner that contributes to education and refinement. He also urged students to recognize the importance of studying Quranic stories and derive their lessons and morals, especially those related to daily life and human behaviours.

keywords: tricks, Surat Yusuf, the Holy Quran, methods, and clues.

مقدمة البحث:

الحمد لله القائل في محكم التنزيل: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

والصلاة والسلام على القائل: (بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج^(١)) وبعد:

فإنه من أعظم نعم الله على المرء أن يوفقه للنظر في كتابه، والتدبر لآياته، ذلك أن القرآن العظيم قد اشتمل على خيرَي الدنيا والآخرة، ففيه نبأ ما قبلنا وخبر ما بعدنا وحكم ما بيننا، وهو في كل ذلك يهدف إلى تحقيق غرض أساسي من إنزاله وهو هداية البشرية، وإنقاذهم من الضلالة إلى النور، ولذا استخدم القرآن الكريم كل الوسائل التي من شأنها أن تساعد في تحقيق هذا الغرض، ومن ذلك القصص؛ لما فيها من الإثارة والدهشة وعنصر التشويق، غير أن القرآن الكريم كعادته لا يهتم بذكر التفاصيل الجزئية كثيراً وإنما يهتم ببيان جانب العظة والعبرة فيها.

ولذا فقد عقد الباحث عزمه على أن يتناول إحدى تلك القصص ليدرسها ليس من جانب السرد التاريخي القصصي، وإنما من جانب آخر هو ما اشتملت عليه تلك القصة من الأساليب (الحيل)، وما يمكن أن يستنبط منها من الدروس والعظات والعبر، وقد تم اختيار سورة يوسف - عليه السلام - كونها ثرية بهذا الجانب، إضافة لما اشتملت عليه من المفاجئات المدهشة والأمور العجيبة، وعرض أحداثها في صورة حية مؤثرة وكأنك تشاهدها أمام عينيك لا تقرأ عن أمور حصلت قبل آلاف السنين.

أسباب اختيار الموضوع:

هناك العديد من الأسباب التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع والتي من أهمها ما يلي:

- ١- نيل الشرف في دراسة قصة من أحسن قصص القرآن الكريم، كما وصفها الله سبحانه وتعالى بذلك.
- ٢- الجمال الأخاذ في القصص القرآني بشكل عام، وفي سورة يوسف بشكل خاص، وما اشتملت عليه من الوسائل والأساليب المثيرة للدهشة مما دفع الباحث للبحث فيما أطلق عليه بالحيل الواردة في سورة يوسف.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يأخذ بالقارئ الكريم للتأمل والتدبر في أجمل القصص القرآني من جانب الحيل التي تناولتها تلك السورة، بما يعزز لدى القارئ جمال النظم القرآني، ودقة التصوير، وروعة الأداء، ومحاولة استكشاف ما تدبره النفوس من الحيل والمكائد، والعمل علاج ما يمكن علاجه بدءاً من نوازع النفس البشرية، ثم إصلاح الشأن الداخلي للأسرة والمجتمع ككل.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الآتي:

- ١- معرفة أنواع الحيل، وبيان ما يجوز منها وما لا يجوز، مع تطبيق ذلك على الحيل التي ذكرتها سورة يوسف.
- ٢- استخلاص الدروس والعبر من تلك الحيل والاستفادة منها في واقع الحياة اليومية وإصلاح شأن النفس والأسرة، كون تلك الحيل تمت داخل هذين الإطار غالباً.

منهج البحث:

- اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي كمنهج أساس في دراسته لهذا الموضوع، من خلال جمع وتتبّع الآيات المتعلقة بالموضوع محل البحث، مع الاستفادة من مناهج البحث العلمي الأخرى وذلك وفق الأمور الآتية:
- ١- دراسة الحيل الواردة في سورة يوسف دراسة تفسيرية تحليلية.
 - ٢- البدء بذكر الحيلة لأخذ التصور العام عنها.
 - ٣- بيان الأساليب المتبعة في كل حيلة بشكل تفصيلي.
 - ٤- ذكر القرائن التي يستدل بها في فضح المحتالين المستنبطة من السورة نفسها.
 - ٥- عزو الآيات القرآنية إلى سورها.
 - ٦- توثيق جميع العبارات، بعزوها إلى مصادرها وتوثيق تلك المصادر.

الدراسات السابقة:

- هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع الحيل سواءً من الجانب الفقهي أو من الجانب القرآني ومنها:
- ١- الحيل وأثرها في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير، صلاح الدين الهادي حسين، جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، الخرطوم، السودان، (١٩٩٧م)، وقد درست الحيل من جانب فقهي لبيان ما يجوز منها وما لا يجوز، وهو يختلف عن مادة هذا البحث شكلاً ومضموناً.
 - ٢- موقف القرآن الكريم من الحيل الفقهية، أطروحة دكتوراه، د. عبدالرحمن بن صالح بن عبدالله الخميس، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، كلية أصول الدين (قسم القرآن الكريم وعلومه) (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، وهذه الأطروحة تناولت الحيل من ناحية فقهية أيضاً في ضوء استقراء الآيات القرآنية، وذكرت أنواع كثيرة للمحتالين ك: اليهود، والمنافقين، والمشركين، وذكرت نوعاً من الحيل المشروعة كالخدعة في الحرب مستشهداً بما ورد في سورة الأنفال، والأطروحة من حيث الجملة قيمة في بابها إلا أنها تختلف تماماً عن مادة هذا البحث.
 - ٣- منهج القرآن الكريم في إبطال الحيل، رسالة ماجستير، سعد بن سعيد بن محمد الغامدي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م)، وقد ركزت الدراسة فيها على حيل اليهود ومنهج القرآن الكريم في إبطالها، وهو ما يختلف تماماً عن موضوع هذا البحث ومادته حيث تم تركيز الدراسة حول جزئية الحيل في سورة يوسف - عليه السلام.

هيكلية البحث:

- يتكون هذا البحث إضافة إلى المقدمة والنتائج من أربعة مباحث:
- المبحث الأول: تعريف الحيل ومتعلقاتها وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: تعريف الحيل لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة.

المطلب الثالث: أنواع الحيل وأسبابها.

المبحث الثاني: الحيل في سورة يوسف وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: حيلة إخوة يوسف.

المطلب الثاني: حيلة امرأة العزيز.

المطلب الثالث: حيلة يوسف عليه السلام.

المبحث الثالث: الأساليب التي تم اتخاذها في تنفيذ الحيل وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الأساليب التي تم اتخاذها قبل الحيل.

المطلب الثاني: الأساليب التي تم اتخاذها أثناء الحيل.

المطلب الثالث: الأساليب التي تم اتخاذها بعد الحيل.

المبحث الرابع: قرائن فضح المحتالين وفيه مطلبان

المطلب الأول: اتهام المحتال لنفسه قبل توجيه التهمة إليه.

المطلب الثاني: تمهات حججه وعدم قدرتها على البقاء.

النتائج والتوصيات:

المصادر والمراجع:

المبحث الأول: تعريف الحيل ومتعلقاتها

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: تعريف الحيل لغةً واصطلاحاً

أولاً: تعريف الحيل لغةً

تختلف التعريفات اللغوية للحيل باعتبار المراد منها؛ ولذلك تعددت التعريفات اللغوية لتعدد المراد منها، يقول الرازي: «الحيل اسم من الاحتيال، وهو من الواو، وكذا: الحيل والحول يقال: لا حيل ولا قوة لغة في: (حول) وهو أحيل منه، وما أحيله لغة في: (ما أحوله) ويقال: ما له حيلة ولا محالة ولا احتيال ولا محال بمعنى واحد^(١)»، وقيل: الحيلة اسم من الاحتيال، الحيل والحول والحولة أصله الواو^(٢)، وقال الزبيدي: «الحيلة من التحول؛ لأن بها يتحول من حال إلى حال بنوع ولطف يحيل بها الشيء عن ظاهره^(٣)»، ويقول الفيروز آبادي: «الحيلة من التحيل وهو: الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف^(٤)»، وقال المناوي: «الحيلة ما يتوصل به إلى حالة ما فيه خفية، وأكثر استعماله فيما في تعاطيه خبث، وقد يستعمل فيما في استعماله حكمة، وكذا قيل في وصفه تعالى: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وعلى هذا وصف بالمكر والكيد لا على الوجه المذموم^(٥)».

يتضح مما سبق في التعريف اللغوي أن الحيل تطلق في اللغة ويراد بها عدة معاني منها:

- ١- الحذق وجودة النظر والقدرة على التصرف.
 - ٢- القوة يقال: ما له حيلة أي ما له قوة.
 - ٣- التحول من حالة إلى أخرى أو من شيء إلى آخر.
 - ٤- إتباع الطرق الخفية التي يتوصل بها إلى حصول المقصود، وقد يكون مذمومًا شرعًا، أو عقلاً، أو عادةً، وهذا الإطلاق لمعنى الحيلة هو الغالب في عرف الناس.
- أما إذا كان التوصل إليه محموداً فيكون معنى الحيلة في مثل هذه الحالة على النقيض من المعنى السابق، وقد أشار إلى هذا الراغب الأصفهاني بقوله: «وقد يستعمل فيما فيه حكمة^(٦)». والخلاصة أن الحيلة قد تستعمل في الخير أو الشر، وفق الغرض منها.

ثانياً: تعريف الحيل اصطلاحاً

كما تعددت تعريفات الحيل من الناحية اللغوية فقد تعددت كذلك من الناحية الاصطلاحية، وذلك بناء على تعدد الوجهة التي يعرفها بها أصحابها سواء من الناحية الفقهية، أو الناحية العرفية، ومن تلك التعاريف ما عرفها به الإمام الشاطبي بقوله: «الحيلة تقديم عمل ظاهر الجواز لإبطال حكم شرعي وتحويله في الظاهر إلى حكم آخر^(٧)». ويرى ابن القيم أن الحيلة نوع مخصوص من التصرف والعمل الذي يتحول به فاعله من حال إلى حال، ثم غلب بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه، بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفتنة^(٨).

ويقول ابن قدامة في تعريفها: «هو أن يظهر عقداً مباحاً يريد بها محرماً، مخادعةً وتوسلاً إلى فعل ما حرم الله^(١٠)»، ومن هنا يتضح أن كلاً من تعريف الإمام الشاطبي وابن قدامة المقدسي قد انصبَّ على الجانب الفقهي، حيث أنهم يتحدثون عن الحيل في الجانب الفقهي، بخلاف تعريف ابن القيم الذي عرفها من منظور أوسع، وهو ما ينسجم وطبيعة هذا البحث، لذا سيتم تناول الحيل هنا ليس من جانبها الفقهي، وإنما سيتم التركيز على الوسائل والأساليب التي يتوصل بها إلى تحقيق الأغراض أو قلب الحقائق بطرق خفية وأساليب ذكية من خلال استقراء سورة يوسف، للوقوف على أساليب التعبير القرآني، واستنباط ما يمكن استنباطه منها من الدروس والعبر.

المطلب الثاني: الألفاظ ذات الصلة

لم يرد لفظ الحيلة صراحةً في القرآن الكريم إلا مرة واحدة في سورة النساء وهي قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨] وهو عذرٌ عذر الله به المستضعفين الذين لا يستطيعون طريقاً ولا سبيلاً إلى الهجرة، فعذرهم الله بذلك وعفى عنهم، وقد وردت آيات أخرى فيها ألفاظ مقاربة للفظ الحيلة، أو مرادفة لها في المعنى، مثل المكر، والكيد، والخديعة، وأكثر ما تستعمل هذه الألفاظ (المكر، والكيد، والخديعة) في الفعل المذموم وهو الأشهر عند الناس، وقد تستعمل هذه الألفاظ في الفعل الحمود، وذلك بأن يقصد به فاعله استدراج غيره لما فيه مصلحته، كما يفعل بالصبي أو المريض إذا امتنع عن تناول الدواء مثلاً.

وعليه فسيتم بيان هذه المرادفات على النحو التالي:

أولاً: المكر

اللغة: الخديعة والاحتيال^(١١).

اصطلاحاً: هو إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر، وهو من جانب الحق تعالى إرداف النعم مع المخالفات، وإبقاء الحال مع سوء الأدب، وإظهار الكرامات من غير جهد^(١٢). وقد ورد لفظ المكر في القرآن الكريم أكثر من أربعين مرة في سبعة عشر موضعاً^(١٣).

ثانياً: الكيد

لغة: قال ابن فارس: «الكاف والياء والداد أصل صحيح يدل على معالجة لشيء بشدة^(١٤)»، والكيد: الخبث والمكر، كاده يكيد كيداً ومكيدةً، وكذلك المكايدة، وكل شيء تعالجه، فأنت تكيده^(١٥).

اصطلاحاً هو: إرادة مضرّة الغير خفية، وهو من الخلق من الحيل السيئة، ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق^(١٦). وقيل: هو السعي في الحيلة والخديعة، ونهاية إلقاء الإنسان في أمر مكروه من حيث لا يشعر، ولا سبيل له إلا دفعه^(١٧). وقد ورد لفظ الكيد في القرآن الكريم أربعة وثلاثين مرة في ستة عشر موضعاً^(١٨).

ثالثاً: الخديعة

اللغة: قال ابن فارس: «الخاء والداد والعين أصل واحد، وذكر الخليل قياسه، فقال الإخداع: إخفاء الشيء وبذلك سميت الخزانة المخدع^(١٩)» ومنه الحرب خدعة، والخدعة ما يخدع به الإنسان^(٢٠).

الاصطلاح: عرفت بأنها الاحتيال والمراوغة بإظهار الخير مع بطلان خلافه ليحصل محصول المخادع^(٢١).

والخداع والمكر والكيد الأصل أنها من الصفات الذميمة إلا في حالة ما لو كانت على سبيل المقابلة كأن يُخدع بالخداع، ويُكر بالماكر، ويُكاد بالكائد فإنها تكون صفة مدح، ولهذا لا يجوز وصف الله بها على إلا على سبيل المقابلة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] وقوله: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠] وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ۖ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥-١٦]^(٢٢).

يقول ابن القيم: «إن هذه الألفاظ (الخداع، والمكر، والكيد) كلٌ منها ينقسم إلى قسمين: فمنها المذموم ومنها المحمود^(٢٣)».

المطلب الثالث: أنواع الحيل وأسبابها

وفيه فرعان:

الفرع الأول: أنواع الحيل

الحيل ليست نوعاً واحداً بل أنواعاً كثيرة، ولهذا كثرت جهات النظر حول تقسيمات الحيل بين موجز في تقسيمه لها ومتوسع في ذلك، فابن القيم في كتابه "إغاثة اللهفان" اقتصر في تقسيمها إلى قسمين فقال: «الحيل نوعان: نوع يتوصل به إلى ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، والتخلص من الحرام، وتخليص الحق من الظالم المانع له، وتخليص المظلوم من يد الظالم الباغي، فهذا النوع محمود يثاب فاعله ومعلمه.

ونوع يتضمن إسقاط الواجبات، وتحليل المحرمات، وقلب المظلوم ظالماً، والظالم مظلوماً، والحق باطلاً، والباطل حقاً، وهذا النوع الذي اتفق السلف على ذمه وصاحوا بأهله من أقطار الأرض^(٢٤)»، وهذا بعينه هو ما أقدم عليه أخوة يوسف - عليه السلام، وما صنعتها امرأة العزيز، وهو ما سيتم بيانه لاحقاً.

وبمثل هذا التقسيم قسمها الدكتور مصطفى مخدم في كتابه "قواعد الشريعة الإسلامية" حيث قسمها إلى قسمين: **القسم الأول:** حيلة مشروعة وهي ما يتوصل بها إلى فعل الواجب، أو ترك المحرم، أو دفع الظالم، أو إحقاق الحق، أو السلامة من المكروه، ونحو ذلك مما يوافق مقاصد الشرع ونصوصه ولا يناقضها، فهذه حيلة مشروعة بلا خلاف متى كانت الوسيلة صحيحة، وقد تكون واجبة، أو مستحبة، أو مباحة.

وحقيقة هذا التقسيم أنه يتوصل بما هو مشروع إلى ما هو مشروع؛ ولهذا اتفقوا على مشروعية النطق بكلمة الكفر حال الإكراه بقصد إحراز النفس والمحافظة على الحياة^(٢٥).

القسم الثاني: حيلة غير مشروعة، وقد عبر عنها الدكتور محمد راواس بأنها: التوصل بما هو مشروع لما هو غير مشروع، كالتوصل بفعل جائز لاستحلال المحرم، أو إبطال الحقوق، أو إسقاط الواجبات، أو تحريم الحلال، ونحو ذلك^(٢٦). وهناك تقسيم آخر للحيل باعتبار تفويت المقصد الشرعي كلياً أو جزئياً، وهو ما ذكره الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حيث قسم الحيل بناءً على ذلك إلى خمسة أنواع هي:

النوع الأول: حيل يفوت المقصد الشرعي كله ولا يعوضه بمقصد شرعي آخر، وهذا لا ينبغي الشك في تحريمه.

النوع الثاني: الحيل على أمر مشروع بوجه ينقل ذلك المشروع إلى أمر مشروع آخر، مثل التجارة بالمال المجتمع خشية أن تنقصه الزكاة، فإنه إذا فعل ذلك استخدم المال في مأذون فيه، وانتقل ذلك المال من نفع الفقير إلى منافع عامة تنشأ عن تحريك المال، وانتقلت زكاته من زكاة النقيدين إلى زكاة التجارة.

النوع الثالث: الحيل على أمر مشروع على وجه يسلك به أمرًا مشروعًا وهو أخف عليه من المنتقل منه، مثل: أن أنشأ سفرًا في رمضان لشدة الصيام عليه في حرٍ متنقلًا منه إلى قضاءه في وقت أرفق به، ومقام الترخيص إذا لحقت به مشقة.

النوع الرابع: الحيل في أعمال ليست مشتملة على معاني عظيمة مقصودة للشارع، وفي التحيل منها تحقيق لمآثل مقصد الشارع من تلك الأعمال، مثل: التحيل في الأيمان التي لا يتعلق بها حق الغير، كمن حلف أن لا يدخل الدار، ولا يلبس الثوب، فإن البر هو تعظيم اسم الله تعالى الذي جعله شاهدًا عليه، فإذا ثقل عليه البر فتحيل للتقصي من يمينه بوجه يشبه البر فقد حصل مقصود الشارع من تهيب اسم الله، وفي هذا النوع مجال من الاجتهاد، وكذلك كثر الخلاف بين العلماء في صوره وفروعه.

النوع الخامس: حيل لا ينافي مقصد الشارع، أو هو يعين على تحصيل مقصده، ولكن منه إضاعة حق آخر، وهو مفسدة أخرى، مثل التحيل على تطويل عدة المطلقة حين كان الطلاق لانهاية له في صدر الإسلام حتى نزلت الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضَرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾ [البقرة: ٢٣١]، فجعل صورة الفعل المشروع استهزاء بالشرعية لما قصد به اضرار الغير^(٢٧).

وهذا التقسيم للحيل يركز على القضايا الفقهية تركيزًا كليًا ونحن إذا نظرنا إلى سورة يوسف وما اشتملت عليه من أنواع الحيل لرأينا أن كل منها يندرج تحت نوع من هذه الأنواع، فمثلاً: حيلة إخوة يوسف - عليه السلام - بإلقائه في الجب وادعاء أن الذئب أكله حيلة محرمة؛ لما فيها من إبعاده عن والده، وجعله عبدًا بعد أن كان حرًا، ونحو ذلك من المفاسد.

وهكذا حيلة امرأة العزيز في غلق الأبواب حيلة محرمة؛ لأنها قصدت منها فعل الفاحشة، بخلاف حيلة يوسف - عليه السلام - في جعل السقاية في رحل أخيه فهي حيلة مباحة؛ لأنها تؤدي في الأخير إلى لم الشمل وإظهار الحقيقة التي تم إخفاؤها لفترة طويلة، فالحكم على الحيلة من حيث الحل والحزمة يعود إلى نية الشخص نفسه والدافع الذي دفعه لذلك، والمآل الذي ستؤول إليه.

الفرع الثاني: أسباب الوقوع في الحيل في ضوء سورة يوسف

أشارت سورة يوسف للعديد من الأسباب التي أدت إلى الوقوع في تلك الحيل التي تناولتها السورة ومنها:

١- الحسد

وهذا هو ما أوقع إخوة يوسف فيما أقدموا عليه، كما قال أبو حفص عمر بن علي الدمشقي في كتابه اللباب في علوم الكتاب: «اعلم أنه لما قوي الحسد وبلغ النهاية قالوا: لا بد من تباعد يوسف من أبيه، وذلك لا يحصل إلا بأحد طريقين: القتل، أو التغريب^(٢٨)» ولقد حكى لنا القرآن أن يعقوب - عليه السلام - كان له من الأبناء اثني

عشر ابناً، وقد كان أشدهم حباً إلى قلبه وألصقهم به يوسف - عليه السلام - لكونه أصغرهم سنّاً من ناحية، إضافةً إلى ما رزقه الله من الطلة البهية من ناحية أخرى، فقد روي أنه أوتي شطر الحسن^(٢٩).

فلما رأى إخوة يوسف حب أبيهم الشديد ليوسف أخذتهم الغيرة وفعل بهم الحسد فعله، حتى قالوا كما حكى القرآن عنهم: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨] أي لفى خطاءً بَيْنَ بَيْنِثاره يوسف وأخاه علينا^(٣٠)؛ ولذلك فقد دبروا له مكيدة لإبعاده عن أبيهم والتخلص منه، ظناً منهم أن حب أبيهم سيعود إليهم بعد فقدته ليوسف.

٢- شعور الأقربان بعدم المساواة بينهم

إذ الغالب في الأقربان وجود التنافس فيما بينهم، فإذا ما شعر بعضهم بأن هناك من يشجع طرفاً على حساب الطرف الآخر أو يقدمه عليه ولو من جانب معنوي كالحب والمدح والثناء، فإن هذا سبب قوي من قبل الطرف الآخر للبحث عن حيلة يوقعه فيها ويتخلص منه، وهو ما أحسنَّ به إخوة يوسف، وهو الدافع الرئيس لما أقدموا عليه ولهذا فقد ركز الإسلام على هذا الموضوع وأولاه اهتماماً كبيراً، فقد روي عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (اعدلوا بين أبنائكم، اعدلوا بين أبنائكم)^(٣١).

٣- اتباع الهوى والشهوات والرغبة في تحقيق المصالح الدنيوية العاجلة

وهذا ناتج عن ضعف الإيمان واليقين المؤديان إلى تقديم الدنيا ولذاتها على الآخرة^(٣٢)، وهو السبب الرئيس الذي دفع امرأة العزيز إلى مراودة يوسف - عليه السلام - عن نفسه، كما أخبرت عن نفسها فيما حكاه القرآن عنها بقولها: ﴿وَمَا أَكْبَرُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]

٤- التوصل إلى الأغراض المشروعة بما ظاهره الحيلة إذا لم يخالف نصّاً شرعياً أو حكماً مقررّاً^(٣٣):

كما فعل يوسف - عليه السلام - مع إخوته حينما وضع السقاية في رحل أخيه، وغرضه من ذلك هو لم شمل الأسرة، وإظهار الحقيقة في ادعائهم بأن الذئب قد أكله، ولم يكن قصده بتاتاً إلصاق التهمة بشخص بريء؛ لأنه كان قد اتفق مع أخيه على جعل السقاية في رحله^(٣٤)، فلما كان هذا غرضه لم تكن هذه الحيلة محرمة، فالمعيار في حل الحيلة وحرمتها راجع إلى قصد الشخص، والدافع له إلى ذلك، والمآل الذي ستؤول إليه، ولهذا يقول القرطبي في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦] «في الآية دليل على جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل، إذا لم تخالف شريعة ولا هدمت أصلاً^(٣٥)».

المبحث الثاني: الحيل في سورة يوسف

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: حيلة إخوة يوسف - عليه السلام

يوسف - عليه السلام - هو يوسف بن يعقوب (إسرائيل الله) بن إسحاق بن إبراهيم -عليهم السلام- وهو أحد أولاد يعقوب الاثني عشر ذكراً، قال صلى الله عليه وسلم عن يوسف فيما أخرجه البخاري وأحمد عن ابن عمر: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)^(٣٦).

وقد كان يعقوب يحب يوسف -عليهما السلام- أكثر من سائر إخوته، كما قال الله تعالى: - حاكياً على لسان إخوة يوسف ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف: ٨].

وهم هاهنا قد «بينوا السبب الذي لأجله قصدوا إيذاء يوسف: وهو أن يعقوب - عليه الصلاة والسلام - كان يفضل يوسف وأخاه على سائر إخوته في الحب، فتأذوا منه لوجوه. أحدها: أنهم كانوا أكبر منهما سناً.

وثانيها: أنهم كانوا أكثر قوة وأكثر قياماً بمصالح الأب منهما.

وثالثها: أنهم القائمون بدفع المضار والآفات، والمشتغلون بتحصيل المنافع والخيرات»^(٣٧).

ولذلك لم يجدوا بأساً في التخلص من يوسف، حيث راودوا أباهم في الإذن له بالخروج معهم وقد بيتوا بأنفسهم التخلص منه، وحينما أذن له بالخروج معهم دبوا له تلك الحيلة الماكرة حيث ألقوه في الجب وزعموا أن الذئب قد أكله، وقد كان عمر يوسف - عليه السلام - حينما ألقوه في الجب سبع عشرة سنة كما أورد ذلك الشيخ محمد الطاهر بن عاشور عند قوله تعالى: ﴿قَالَ يَبَشِّرُنِي هَذَا عِلْمٌ﴾ [يوسف: ١٩] قال: «والغلام من سنه بين العشر والعشرين وكان سن يوسف عليه السلام يومئذ سبع عشرة سنة»^(٣٨).

بينما يرى أبو حيان أن بقاء يوسف عند المتاع دليل على صغر سنه إذ لو كان ابن ثمان عشرة سنة أو ابن سبع عشرة سنة لكان يستبق معهم^(٣٩).

ولعل ما ذهب إليه أبو حيان هو الصواب من كون يوسف صغير السن؛ إذ لو كان قد تجاوز السابعة عشرة من عمره لكان أقدر على مقاومتهم، أو على أقل الأحوال تركهم والعودة إلى أبيه فور إيذائهم له، إذ قد بدؤوا بإيذائهم له بعد غيابهم عن أبيه مباشرة.

المطلب الثاني: حيلة امرأة العزيز

أعظم الفتن من حيث الإجمال هي فتنة النساء، لما روي عن المصطفى الحبيب صلى الله عليه وسلم أنه قال: (مَا أَذْعُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ)^(٤٠).

ومن هنا فقد تعرض يوسف - عليه السلام - لهذه الفتنة والحنة، وهي محنة عرض الفاحشة عليه، ولولا أنه معصوم بعصمة الله له لما استطاع أن يقف أمامها، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا

بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿يوسف: ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤] فالفتنة كانت عظيمة حيث والمرأة بنفسها هي من عرضت عليه الفاحشة، وهيئت المكان، وغلقت عليه الأبواب، وتوعدته إن رفض طلبها بالعذاب، حيث قالت كما حكى القرآن عنها: ﴿وَلَيْنَ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُصْغَبَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

أضف إلى ذلك أن المرأة كانت ذات منصب وجمال، فلما رفض يوسف طلبها، وفر من بين يديها دبرت له حيلة أخرى عله يرضخ لطلبها من جهة، وكى تظهر شرفها بعد فشل خطتها الأولى من جهة ثانية، حيث أن «المرأة لا تحب من يتجاهلها، وإنما تحب أن تكون مطلوبة لا طالبة، فالتجاهل يثير تأثيراً ثائراً»^(٤١)، وسوف يتم بيان هذه الحيل عند الحديث عن أساليب المختالين إن شاء الله تعالى.

كما أنها دبرت حيلةً ثالثةً لتتخلص من شتمات النسوة اللاتي أخذن يشتمن بها بسبب مرادتها ليوسف، فقد ضيفتهن وآتت كل واحدة منهن سكيناً وطعاماً تنشغل به، ثم أمرت يوسف بالخروج عليهن بعد أن أضافت إلى ما فيه من جمال مكتسب خلقته من الله أنواعاً من الزينة والأهبة، قال الإمام الشعراوي: «وهن حينما آذبن امرأة العزيز بتداول خبر مرادتها له عن نفسه تخيلن له صورة ما من الحسن لكنهن حينما رأينه فاقت حقيقته المرئية كل صورة تخيلنها عنه، فحدث الانبهار لهن، وأول مراحل الانبهار هي الذهول الذي يجعل الشيء الذي طرأ عليك يذهلك عما تكون بصده»^(٤٢)، وهكذا استطاعت امراة العزيز أن توقعهن في هذه الحيلة الماكرة حينما رأين يوسف بتلك الطلة البهية ف«لقد ذهب بقولهن حتى إن المرأة منهن لتقطع يدها وهي لا تشعر بألم القطع»^(٤٣).

المطلب الثالث: حيلة يوسف - عليه السلام

حيلة يوسف - عليه السلام - هي ما دبره من الأسباب والوسائل التي صنعها يوسف - عليه السلام - لأخذ أخيه وإبقائه عنده، وكانت بداية تلك الحيلة حينما جاء إخوته للمكيل فطلب منهم أن يأثوا بأخيهم الأصغر من أبيهم حتى يكيل لهم، ووضع بضاعتهم في رحالهم ليشددوا العزم على أبيهم في أخذه معهم للكيل، وبذلك قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِّنْ أَيْكُمُ لَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوْفِي الْكَيلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا سَرَوْدٌ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفَتَاتِهِ اجْعَلُوا يَضْعَئَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يِعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [يوسف: ٥٩-٦٢] فكانت هذه أول وسيلة لتدبير هذه الحيلة، بل يعتبر وضع البضاعة في الرحال وإرجاعها إلى أبيهم حيلةً ليتمكنوا من أخذ أخيه من أبيهم واحتجاجهم بالبضاعة التي ردت إليهم، وحدث ما قصَّ الله علينا مع أبيهم يعقوب - عليه السلام، وأخذوا منه ولده الذي أحبه حب يوسف، وانطلقوا به إلى العزيز يوسف - عليه السلام - ليواصل تدبيره لانتزاعه من بين أيديهم، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف: ٦٩]، وهنا بدأ يوسف - عليه السلام - بحيلته لانتزاع أخيه منهم بدءاً بطمأنته له بقوله: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، ثم أوعز

إلى خدمه بتنفيذ ما أمرهم به كما بين ذلك القرآن ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْنَاهَا أَلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسِرِفُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْتَنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ [يوسف: ٧٠-٧٣] حتى قوله تعالى: ﴿كَدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [يوسف: ٧٦].

يقول سيد قطب: «لم يكشف يوسف - عليه السلام - لإخوته ما في نفسه، فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون، ندرك من هذا السياق أنه أنزلهم منزلاً طيباً ثم أخذ في إعداد الدرس الأول لهم وهو: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ أَتَأْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنَ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩] ونفهم أيضاً أنه تركهم يأنسون إليه حتى أخبروه أن لهم أخاً يحبه أباه ولا يطيق فراقه^(٤٤)».

المبحث الثالث: الأساليب التي تم اتخاذها في تنفيذ الحيل

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول: أساليب المحتالين قبل تنفيذ حيلهم

هناك العديد من الأساليب التي يلجأ إليها أصحاب الحيل بغرض إيقاع الآخرين في حيلهم ومصائدهم، ومن خلال البحث في سورة يوسف - عليه السلام - تبين أن هناك العديد من الأساليب التي سلكها أصحابها في تنفيذ حيلهم ومنها:

١- استشارة الآخرين لكسب ثقتهم

كعادة المحتالين أنهم يستخدمون العبارات التي فيها إنكار على من لا يثق بهم، كقولهم مثلاً: ألسنت محل ثقتك؟! هل تستخيني؟! لم أتوقع أن ترفض طلبي! ونحو ذلك من العبارات التي فيها استشارة للآخرين حتى يتم إيقاعهم فيما دبوا لهم من حيل.

ولهذا فإن إخوة يوسف - عليه السلام - لما كانوا يعلمون أن أباهم لا يطيق فراق يوسف - عليه السلام، فقد حاولوا أن يقنعوه بأن يأذن له في الذهاب معهم واستخدموا أسلوب الاستغراب والإنكار على أبيهم في عدم الإذن له بذلك، فلسان حالهم كأنهم يقولون: إن هذا خلاف ما ينبغي أن يكون فهل تستخينا في ذلك؟! ولهذا قالوا كما حكى القرآن عنهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾ [يوسف: ١١] فبدأوا أولاً بالإنكار عليه في ترك إرساله معهم وحفظه مع نفسه من بينهم، كأنهم قالوا: إنك لا ترسله معنا تخافنا عليه؟! ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَصْحُونَ﴾ [يوسف: ١١]..، ومعناه إنا عاطفون عليه، بارون به، قائلون بمصلحته^(٤٥)»، ثم بينوا لأبيهم أن قصدهم من طلب إرسال يوسف معهم إنما هو إدخال السرور والبهجة عليه لا أكثر لا أقل، فمقصودهم من قولهم: ﴿يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ «استجاشته - أي: أباهم - لنفي هذا الخاطر ومن ثم يفقد اصراره على احتجاز يوسف، فهي مبادرة ماكرة خبيثة^(٤٦)».

٢- تبديد تخوف الآخرين منهم وإيجاد بعض الضمانات

لقوة دهاء المحتالين كأهم يقرؤون أفكار الآخرين وما يدور في أذهانهم من التخوف والارتياح من تصرفاتهم، ولهذا فهم يحاولون تبديد هذا الشعور وهذا التخوف عبر إيجادهم لبعض الضمانات تماماً كما فعل إخوة يوسف - عليه السلام - حينما علموا أن حب أبيهم الشديد ليوسف قد يمنعه من إرساله معهم خوفاً من أن يصيبه أي مكروه، ولهذا بددوا تخوفه من ذلك بأنهم أهل لحفظه ورعايته حيث قالوا: ﴿لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَيْرُ رُوتٍ﴾ [يوسف: ١٤] ردّاً على قول أبيهم: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: ١٣] فكأنهم يقولون له: «لئن غلبنا الذئب عليه ونحن جماعة قوية هكذا فلا خير فينا لأنفسنا، وإننا لخاسرون، فلا نصلح لشيء أبداً...، وهكذا استسلم الوالد الحريص لهذا التوكيد ولذلك الإحراج^(٤٧)».

بمذه الحيلة وذلك الأسلوب حاولوا أن يوجدوا ضماناً لأبيهم من عدم وصول الذئب إليه، تتمثل في كثرة عددهم وقوتهم، ولذلك فيستحيل وصول الذئب إليه، وأكدوا قولهم هذا بأنه لو حصل ذلك فإنه علامة على خسارتهم وهو ما لم يسمحوا به أن يحصل أبداً.

٣- مدح الآخرين والثناء عليهم كي يسهل إيقاعهم في الحيلة

من أساليب المحتالين هو المدح والإشادة بالآخرين ممن يريدون اجتراءهم للوقوع في حيلهم، وهذا الأسلوب هو الذي اتبعته امرأة العزيز في مراودتها ليوسف عن نفسه، حيث كان يوسف شاباً مملئاً حيويةً ونشاطاً، أضف إلى ذلك ما كان يتمتع به من جمال بارع، وحسن ليس له مثيل.

كما أن امرأة العزيز كانت كذلك في غاية الحسن والجمال، وهي لازالت في مرحلة الفتوة وهيجان الشهوة، ويكفي أن نعرف حسننها من كونها امرأة العزيز، ولذلك زينت لها نفسها - الأمانة بالسوء - مراودة يوسف - عليه السلام، وقد بدأت تمدحه وتثني عليه وتذكره بمحاسن نفسه كي تشوقه إلى نفسها، حيث قال ابن إسحاق والسعدي: لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكره محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها فقالت له: يا يوسف ما أحسن شعرك! قال: هو أول ما ينتشر من جسدي، قالت: يا يوسف ما أحسن عينيك! قال: هي أول ما تسيل إلى الأرض من جسدي، قالت: ما أحسن وجهك! قال: هو للتراب يأكله^(٤٨).

إذاً فهي بهذا المدح والإطراء تحاول أن توقعه في شباك حيلتها، وتتوصل إلى مقصدها.

٤- الكرم غير المعهود

ومن ضمن أساليب المحتالين هو الكرم والضيافة خصوصاً إذا لم يكن ذلك من طبائعهم المعتادة، أو كان المتكرم له غير متوقع لكل تلك الحفاوة، ومع ذلك فلا ينبغي الشك في كل كرم وضيافة، ولكن يبقى هذا أسلوب من أساليب المحتالين، ويعرفه الشخص من خلال قرائن الأحوال، كأن يكون بين المتكرم والمتكرم له عداوة أو منافسة أو غيرها مما يستدل به على ذلك.

ويظهر هذا واضحاً من خلال تصرف امرأة العزيز حينما سمعت النسوة في المدينة يعيرنها بما أقدمت عليه، فما كان منها إلا أن أرسلت إليهن أي راسلتهن ففي الكلام حذف، أي أرسلت إليهن تدعوهم إلى وليمة لتوقعهن فيما وقعت فيه^(٤٩)، فهي إنما دعتهن للضيافة إكراماً لهن ومكرّاً بهن، ولتعذر في يوسف لعلمها أنهن إذا رأيته دهشن وافتن به^(٥٠)، وزيادة في الترميز وإظهاراً لهن أن الأمر لا يعدو أن يكون ضيافةً عابرة، فقد اعتدت لهن متناً أي هيأت لهن في مجلس طعامهن ما يتكفن عليه من الوسائد والتمارق وما يشبه ذلك^(٥١).

وقيل: المتكأ طعام يحز حراً كأن القاطع يتكأ عليه بالسكين^(٥٢)، وقيل: المتكأ هو الشيء الذي يستند إليه الإنسان حتى لا يطول به ملل من كيفية جلسته^(٥٣).

وعلى كل حال سواء كان المقصود بالمتكأ تهيئة المكان من الوسائد والتمارق، أو تقديم الطعام والفواكه الذي يحتاج إلى قطعها بالسكين، فالمقصود أنها قد بالغت في إكرامهن كي توقعهن في حيلتها التي دبرتها لهن، ومن هنا يتضح أن الكرم قد يستخدم كوسيلة من وسائل المحتالين.

٥- أخذ معلومات عامة عن يراد إيقاعه في الحيلة

وهو من أخطر أساليب المحتالين، حيث أنهم في الغالب يأخذون تصور عام عن الشخص الذي يريدون إيقاعه في الحيلة، كمعرفة بلده، أو اسمه، أو اسم بعض أقاربه، حتى يمكن الدخول إليه من هذا الجانب، وقد استخدم يوسف - عليه السلام - هذا الأمر، غير أنه وظف ذلك في الخير إذ قصد بذلك لم شمل الأسرة التي فُرق بين بعضها، ويتضح هذا جلياً من قول يوسف لإخوته: ﴿أَتُؤْنِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف: ٥٩]، حيث يفهم من هذا أنه تركهم يأنسون إليه، واستدرجهم حتى ذكروا له منهم على وجه التفصيل، وأن لهم أخاً أصغر من أبيهم لم يحضر معهم؛ لأن أباهم يحبه ولا يطيق فراقه فلما جهزهم بحاجات الرحلة قال لهم: إنه يريد أن يرى أخاهم هذا^(٥٤).

وهكذا استطاع يوسف - عليه السلام - أن يجرهم إلى الحيلة التي دبرها لهم دون أن يشعروا، حيث بدأ بأخذ معلومات عامة عنهم ليتوصل بها إلى ما أراد، كما ذكر الإمام الشوكاني أنه قال لهم: «ما أنتم؟ وما شأنكم فياني أنكركم؟ فقالوا: نحن قوم من أهل الشام جئنا ننتار ولنا أبٌ شيخٌ صديقٌ نبيٍّ من الأنبياء اسمه يعقوب قال: كم أنتم؟ قالوا: عشرة، وقد كنا اثني عشر فذهب أخ لنا إلى البرية فهلك، وقد كان أحبنا إلى أبنائنا، وقد سكن بعده إلى أخ له أصغر منه هو باقي لديه يسكن إليه، فقال لهم حينئذٍ: ﴿أَتُؤْنِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ﴾^(٥٥)» ليم بعد ذلك تدبير الحيلة التي رسمها في ذهنه، حتى يحقق أهدافه وهنا ينتقل مباشرة لتدبير الوسائل والأساليب أثناء الحيلة حتى يبق الأمر وكأنه طبيعي ولا تلفت إليه الأنظار.

المطلب الثاني: أساليب المحتالين أثناء تنفيذ حيلهم في ضوء سورة يوسف

١- قلب الحقائق وإظهارها خلاف الواقع:

الأصل في الحيلة برمتها هي قلب للحقائق وإظهارها بخلاف الواقع، وكل الوسائل والأساليب هي لتحقيق هذا الغرض، كأن يُتهم العفيف بالفاحشة، أو البريء بالسرقة، ونحو ذلك فلاشك أن من يقترف ذنباً أو يرتكب جرماً يبحث عمن يلصقه به، خصوصاً إذا كان صاحب سلطة وييده القرار، وهذا هو ما فعلته امرأة العزيز مع يوسف

- عليه السلام - حيث أنه لما امتنع منها ورفض أن يجيبها إلى طلبها، إضافةً إلى ظهور زوجها بصورة مفاجئة وغير متوقعة وهي على تلك الحالة، لم يكن أمامها من حيلة إلا أن تقلب الحقيقة وتعكس القضية، فرمت يوسف بذنبها وكأنه هو من يريد بها عن نفسها وليست هي التي تراوده عن نفسه، ولهذا قالت لزوجها: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥] وإنما قالت ذلك إيهاماً لزوجها أنها فرت منه، تبرئةً لساحتها عند زوجها، وإغراءً له عليه، انتقاماً لنفسها لما امتنع منها^(٥٦) يقول الزنجشيري: «لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهي مغتاضة على يوسف إذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة، والغضب على يوسف وتخويفه طمعاً في أن يؤتمن خيفةً منها ومن مكرها^(٥٧)» ولهذا يقول الألوسي رحمه الله: «ولقد أتت في تلك الحالة التي يدesh فيها الفطن اللوذعي حيث شاهدها زوجها على تلك الهيئة بحيلة جمعت فيها غرضيها، وهما: تبرئة ساحتها مما يلوح من ظاهر الحال، واستنزاع يوسف - عليه السلام - عن رأيه في استعصائه عليها وعدم موافقاته لها بإلقاء الرعب في قلبه من مكرها، طمعاً في مواقعتها لها مكرهاً عند يأسها عن ذلك مختاراً^(٥٨)».

وقد استطاعت أن تخرج من هذه الورطة وهذا المأزق حيث ألقت المرأة الاتهام على يوسف - عليه السلام - في شكل سؤال تبريري للهروب من تبعية الطلب وإلقاء التهم على يوسف ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٥٩)، فحينما تيقنت الفضيحة عكست القضية، ليصير البريء في هذه الحالة مذنباً والمذنب بريئاً، وذلك أن النساء هن في هذا الباب من المكر والحيل ما لا يكون للرجال لأن كيدهن في هذا الباب يورث من العار ما لا يورث كيد الرجال^(٦٠).

٢- اقتراح العذاب والمشاركة في تقرير العقاب:

زيادةً في نفي الشك والريبة يحاول المحتال - خصوصاً إذا شعر أن الناس بدؤوا يشكون فيه - أن يبادر إلى اقتراح نوعية العقوبة لمن صدر منه ذلك الأمر، وفي مبادرة المحتال إلى اختيار نوعية العقوبة مكر ودهاء من وجهين هما:

أ- قد يختار العقوبة الأخف كي لا يتم اختيار عقوبة أشد.

ب- صرف الذهن تماماً عن التفكير في أنه من صنع ذلك أو أن له به علاقة.

ومن خلال النظر في سورة يوسف - عليه السلام - تبين أنه قد تم اقتراح العقوبة في موضعين، أحدهما حينما تفاجأت امرأة العزيز بظهور زوجها وهي على تلك الحالة فبادرت بالصاق التهمة بيوسف، وزيادة في التلميح افترحت العقوبة له، كما في قوله تعالى: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٥] وفي هذه الجملة من اللطائف والإشارات التي تدل على دهائها وقوة حيلتها ما فيها، كما بين ذلك الإمام الرازي حيث قال: «وفي هذه الآية لطائف... ومنها أن حبها الشديد ليوسف حملها على رعاية دقيقتين في هذا الموضع وذلك لأنها بدأت بذكر السجن وأخرت ذكر العذاب؛ لأن الحب لا يسعى في إيلاء المحبوب، وأيضاً لم تذكر بأن يوسف يجب أن يعامل بأحد هذين الأمرين بل ذكرت ذلك ذكراً كلياً صوئاً للمحسوب عن الذكر بالسوء والألم، وأيضاً قالت إلا أن يسجن والمراد أن يسجن يوماً أو أقل على سبيل التخفيف

فأما الحبس الدائم فإنه لا يعبر بهذه العبارة بل يقال: يجب أن يجعل من المسجونين، ألا ترى أن فرعون هكذا قال حين تهدد موسى - عليه السلام - في قوله: ﴿لَئِنْ أَتَيْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩] (٦١)».

وقد استطاعت امرأت العزيز أن تتدرك الموقف بقوة حيلتها ومكرها، حيث صورة نفسها عند زوجها أنها بريئة مما قد يشك فيها، وزيادةً في حيلتها أخذت تقترح العقوبة، وهي في هذا تكون قد احتالت من وجهين: الأول: فيه مبالغة في إظهار العفة، حيث أنها تقترح العقوبة التي تصور نفسها لزوجها بأن هذا سيكشف غلبتها، ويرد اعتبارها.

والثاني: أن اختبارها لهاتين العقوبتين المتمثلتين بالسجن - وهو التوقيف لمدة يسيرة كما مر - أو العذاب، فيه دليل على قوة بدايتها وعظيم حيلتها، حيث لم تترك الأمر في تحديد العقوبة لزوجها، خوفاً من أن يبالغ في العقوبة حيث تصير إلى حد القتل أو الطرد، وهي لا تريد هذا ولا ذاك لأمرين هما:

أ- لعلها بحقيقة الأمر، وأن يوسف بريء مما تتهمه به براءة الذنب من دمه، فلا تحب أن تؤذيه مرتين، الأولى: في اتهامه وهو بريء، والثانية: في إنزال العقوبة الشديدة به، فتجمع عليه مفسدتين كما يقال «حشفاً وسوء كيلة» (٦٢).
ب- كي لا يطرده من القصر وهي لا تحب ذلك.

إذاً فليس كل مبادرة إلى اختبار العقوبة دليل على براءة الشخص، بل لابد من التأكد والتحميص حتى يثبت صلتها بهذه القضية أو تلك أو براءته منها.

٣- جعل تحديد العقوبة على من يراد إيقاعهم في الحيلة:

ويتضح هذا جلياً من صنع يوسف - عليه السلام - حينما جعل السقاية في رحل أخيه مع الاتفاق سلفاً بينهما على ذلك، حتى إذا اتهموا بالسرقة ونفوا التهمة عنهم بشدة، رد يوسف الحكم إليهم فيما لو اتضح أن الذي أخذ السقاية منهم، وهي مقدمة أولية من مقدماته التي يهدف من ورائها إلى لم شمل الأسرة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٦] لأنه ليس من دينه أن يتملك السارق وإنما له عندهم جزاء آخر، فلو ردت الحكومة إلى دين الملك لم يتمكن يوسف من إبقاء أخيه عنده، ولكنه جعل الحكم منهم ليتم له ما أراد (٦٣).

وهنا ينكشف طرف التدبير الذي ألهه الله يوسف، فقد كان المتبع في دين يعقوب أن يؤخذ السارق رهينة أو أسيراً أو رقيقاً في مقابل ما يسرق، ولما كان إخوة يوسف موقنين بالبراءة، فقد ارتضوا تحكيم شريعتهم فيمن يظهر أنه سارق؛ ذلك ليتم تدبير الله ليوسف وأخيه (٦٤).

٤- استخدام أسلوب التمويه لإبعاد الآخرين عن الشك والريبة:

من الأساليب التي يستخدمها المحتالين أثناء حيلهم هو أسلوب التمويه أو التورية، كي يصرف أذهان الآخرين عن التفكير في أن له أي علاقة بهذه الحيلة أو أنها من تدبيره ويبدوا هذا الأسلوب فيما فعله يوسف - عليه السلام - حينما بدأ بتفتيش أوعية إخوته وأخر وعاء أخيه (بنيامين) مع علمه أن الصواع في رحله، ولهذا روي أنه قال حينما لم يبق إلا صواع بنيامين: «ما أضن أن هذا أخذه، فقال إخوته والله لا يترك حتى ينظر في رحله، فإنه أطيب لأنفسكم ولأنفسنا، فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه» (٦٥)، فكونه بدأ بأوعيتهم تمكين للحيلة وإبعاد لظهور أنها حيلة (٦٦).

وكان الهدف من البدء بتفتيش أوعيتهم وهم عشرة قبل وعاء شقيقه، كي ينفي احتمال ظنهم بأنه طلب منهم أن يأثوا بأخيهم معهم ليدبر هو هذا الأمر، وفتش وعاء شقيقه من بعد ذلك ليستخرج منه صواع الملك، وليطبق عليه قانون شريعة آل يعقوب فيستبقي شقيقه معه، وهذا دليل على الذكاء الحكيم^(٦٧).

المطلب الثالث: أساليب المختالين بعد الانتهاء من حيلهم

بعد انتهاء الحيلة سواءً حققت غرضها أو لم تحقق ذلك فإن المختال لا يفتقر عن استخدام الوسائل والأساليب التي من شأنها لا تجعل الآخرين يتنبهوا إلى الحيلة، بل تجعلهم يعتقدوا أن الأمر لا يعدوا أن يكون حقيقة؛ لأن المختال قد استخدم الوسائل قبل حيلته وأثائها، وهو الآن يستخدمها بعد الانتهاء منها، ومن تلك الأساليب التي تم استخدامها بعد انتهاء الحيل من خلال استقراء سورة يوسف ما يلي:

١- اختيار التوقيت الغير معهود للاعتذار:

لاشك أن الزمن له تأثير كبير جداً في تمرير الحيلة وإكسابها صفة الحقيقة، فمن يأتي في وقت متأخر من الليل وهو يدعي أنه ما تأخر إلى هذا الوقت إلا بسبب البحث عن شيء فقده أكثر مدعاة للتصديق ممن يأتي وسط النهار ويدعي نفس الشيء، ولهذا لم يغفل إخوة يوسف هذا العامل، فاختاروا أن يكون مجيئهم إلى أبيهم عشاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ آبَاَهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦] والعشاء وقت غيبوبة الشفق الباقي من بقايا شعاع الشمس وبدء حلول الظلام..، أي جاءوا أباهم بعد أن أقبل الليل بظلامه^(٦٨)، فلا شك أن اختيارهم مثل هذا التوقيت الزمني وهو وقت العشاء حيث الظلمة تكون قد ضربت أطناها في المكان من كل اتجاه، والصمت والسكون سيد الموقف، أكثر مدعاة لتصديقهم، كما قال أهل المعاني: جاءوا في ظلمة العشاء ليكونوا أجراً على الاعتذار بالكذب^(٦٩)، فاختارهم لهذا التوقيت كان مقصوداً، إذ أن بكاءهم لم يكن بكاءً حقيقةً وإنما كان بكاءً مصطنعاً متكلفاً، وبالتالي فهم وإن تباكوا غير قادرين على إخفاء انفعالاتهم النفسية التي تبدوا على وجوههم «فقالوا: نؤخر اللقاء لأبينا إلى العشاء، والعشاء محل الظلمة، وهو أستر للانفعالات التي تبدوا على الوجوه من الاضطراب، ومن مناقضة كذب ألسنتهم؛ لأنهم لن يخبروا الأب بالواقع، بل بحديث مختلق، وقد تخدعهم حركاتهم ويفضحهم تلجلجهم وتنكشف سيماهم أمام أبيهم، فقالوا: الليل أخفى للوجه من النهار، وأستر للفضائح، وحين ندخل على أبينا عشاءً فلن تنكشف انفعالاتنا، وبذلك اختاروا الطرف الزمني الذي يتوارون فيه من أحداثهم^(٧٠)».

ولهذا قيل: لا تطلب الحاجة في الليل فإن الحياء في العينين، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار^(٧١)، ومن هنا يتضح أن التأخر إلى هذا الوقت كان مقصوداً، إذ أن تأخرهم إلى مثل هذه الساعة لم يكن بالأمر المعتاد، إذ المعتاد عادة في من يذهب للرعي هو المجيء قبل دخول الظلام، فكونهم تأخروا إلى هذا الوقت يرون أن هذا ادعى إلى تصديقهم ونفي التهمة عنهم.

٢- الظهور بمهيئة تصرف الذهن عن اتهامهم أو الشك فيهم:

من وسائل المختالين هو مطابقة مظاهرهم لما يريدون تحقيقه من حيلهم والظهور بالمظهر الذي يجعل الآخرين يثقون بحيلتهم، واستخدام المظهر المعبر عن ذلك، فقد يكون أنسب أثناء الحيلة أو بعدها بحسب ما يقتضي

المقام، ولهذا فقد استخدم إخوة يوسف المظهر الذي يعبر عن حزنهم بعد أن انتهوا من حيلتهم إذ أتوا أباهم وهم يكونون، كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عَشَاءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف: ١٦] وهذا البكاء إنما هو تمثيل منهم وحيلة من حيلهم، وهذا التمثيل أو التمويه ليس بالأمر الهين الذي يمكن أن يجيده جميع الناس، حيث أن بعض الناس لديهم القدرة على تخيل المواقف وكأنهم يعيشونها فعلاً، وبالتالي ينعكس ذلك التخيل على انفعالاتهم ويظهر من تصرفاتهم، حتى يخيل لمن لم يعرف حالهم أو يخبر سرهم أن يصدقهم، وعليه فإن هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدقه لاحتمال أن يكون تصنعاً، فمن الخلق من يقدر على ذلك ومنهم من لا يقدر^(٧٢) وفي الأمثال «دموع الفاجر بيديه^(٧٣)»، ولذا فقد اصطنع إخوة يوسف البكاء تمويهاً على أبيهم لئلا يظن بهم أنهم غيبوا يوسف، فبكاؤهم هنا إنما هو حيلة من حيلهم التي أرادوا من ورائها طمس معالم جريمتهم الشنعاء التي أقدموا عليها، كي ينقذ في ذهن أبيهم أن ليس لهم أي صلة في ذلك وأن الأمر كان عن غير تفريط منهم، ولذلك جاءوا وهم [يكون] حيلةً وتمويهاً.

٣- إيجاد بعض القرائن للتدليل على صدقهم:

من المهم جداً أن يكون لدى المختال بعض القرائن التي تدل على صدقه، وكلما كانت هذه القرائن مشاهدة كلما كانت أكثر تأثيراً من كونها مجرد إخبار، وهذا هو ما استخدمه إخوة يوسف بعد انتهاء حيلتهم، إذ لم يكتفوا بمجرد إخبار أبيهم بأن الذئب قد أكل يوسف، وكونهم أتوا وهم في حالة من الحزن والأسى، بل حاولوا إيجاد شيئاً يكون دليلاً على صدقهم، فهدتهم حيلتهم الماكرة إلى نزع قميص يوسف وتلطixه بالدم، حتى إذا رآه أباهم عرف أن الأمر حقيقة وأن يوسف قد أكله الذئب بالفعل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَاءَ وَ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨] أي مكذوب مفترى، وهذا من الأفعال التي يؤكدون بها ما تمالؤا عليه من المكيدة^(٧٤)، وزيادة في التدليس والتمويه روي أنهم أخذوا سخلة (ولد ضأن) أو جدياً فذبحوه ولطخوا به قميص يوسف^(٧٥).

٤- استدراج الشامتين إلى نفس الجرم حتى يسلم من شماتتهم:

بعد أن ينتهي المختال من حيلته خصوصاً - إذا لم تكفل بالنجاح وانتشر خبرها - قد يجد من يشمت به، ولذلك قد يأتي من الأساليب أو الحيل ما يوقعهم فيما وقع هو به كي يسلم من شماتتهم، وهذا ما قامت به امرأة العزيز حينما بدأ نساء المدينة يشمتن بها ويعجنن لأمرها، فاستضافتهن وأمرت يوسف بالخروج عليهن، فلما رأيته بتلك الطلة البهية التي لم يكن يتخيلنه بها «ذهب يعقولهن حتى إن المرأة منهن لتقطع يدها وهي لا تشعر بألم القطع؛ إذ الذهن كل الذهن منصب على رؤية يوسف الصديق^(٧٦)».

وهنا رأت المرأة أنها انتصرت على نساء طبقتها، وأهن لقين من طلة يوسف الدهش والإعجاب والذهول، فقالت قولت المرأة المنتصرة... ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودْنَهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْخَمَ﴾ [يوسف: ٣٢]^(٧٧).

والخلاصة: أنها استخدمت هذا الأسلوب بعد فشل خطتها مع يوسف، وعندما شعرت أن النساء بدأن يشمتن بها أوقعتهن في نفس ما تشعر به تجاه يوسف، كي تلجم أفواههن عن الشماتة بها، أو الحديث عن شأنها، بل أصبحت تشمت بهن هي؛ كونهن لم يحتملن رؤيته مرةً واحدة حتى قطعن أيديهن.

المبحث الرابع: قرائن فضح المحتالين

مهما أوتي المحتال من ذكاء أو قدرة على التمويه وقلب الحقائق فإنه لا بد وأن تبقى بعض الأمور التي يمكن لمن أوتي بصيرة نافذة وحس مرهف أن يستدل بها على أن الأمر ليس كما يزعم المحتال، مع أنه ليس بالضروري أن تكتشف الحيلة في حينها، بل قد يكون في الأمر شيء خفي يظهر ولو بعد حين، وبما أن هذا البحث مقتصر على سورة يوسف فقد تم استخلاص أمرين اثنين يمكن أن يستدل بهما على بطلان ما ادعى به أصحابها، وأن تصبح قرائن يستدل بها على بطلان حيلهم، وهما ما يتكون منهما هذا المبحث إذ تم الحديث عنهما في مطلبين:

المطلب الأول: اتهام المحتال لنفسه قبل توجيه التهمة إليه

ليس غريباً أن يتهم الناس شخصاً ما، سواء كان اتّهامهم له في صحيحاً أم لا، ولكن الأغرب من ذلك أن يتهم المحتال نفسه قبل أن يتهمه الآخرون، والذي يبدو لي أن اتّهام المحتال لنفسه إنما هو حيلة من حيله، وأسلوب من أساليبه إذ يهدف من ورائه إلى إبعاد التهمة عنه تماماً، حتى يصور نفسه عند الآخرين أنه لو كان له أي علاقة بالموضوع لما بادر إلى اتّهام نفسه قبل أن يتهمه الآخرون، ولعل هذا هو السبب في قول إخوة يوسف لأبيهم كما حكى القرآن عنهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ [يوسف: ١٧] لأنهم يحسون أن حيلهم مكشوفة، وقد قيل: كاد المريب أن يقول خذوني، فقولهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ أي: وما أنت بمطمئن لما نقوله ولو كان هو الصدق، لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقوله^(٧٨)، وهذا الحكم المسبق منهم إنما أتوا به لأنهم يعلمون بحقيقة الأمر، وقصدوا من وراء ذلك التعريض بصدقهم، فكأنهم قالوا قد يبدو الأمر مستحيلاً غير أن هذا هو ما حدث ونحن صادقون في ذلك.

ومفهوم مخالفة قولهم أنهم كاذبون، ولذا قال لهم يعقوب مباشرة بعد هذه القرينة: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨].

المطلب الثاني: تهافت حججه وعدم قدرتها على البقاء

مهما حاول المحتال أن يأتي بالحجج والبراهين التي يأمل أن تكون مدعاةً إلى تصديقه وتغطيةً لوجه الحقيقة التي تخفيها حيلته فإنه سرعان ما ينكشف عوارها ويفتضح أمرها، إذ أنه لا بد وأن تبقى بعض القرائن التي تدل على تهافت حججه، ومن الأمثلة على ذلك من خلال سورة يوسف ما يلي:

١- عدم تمزيق قميص يوسف رغم ادعائهم أن الذئب أكله:

حيث أن إخوة يوسف - عليه السلام - بعد أن أتوا في وقت متأخر عن مجيئهم المعتاد، إضافةً إلى كونهم سيكون، وقد أخذوا معهم قميص يوسف ولطخوه بالدم، كانوا يعتقدون أن كل هذا سيكون مدعاةً إلى تصديقهم «ولا شك أن الدم قرينه على افتراس الذئب له، ولكن يعقوب أبطل قرينتهم هذه بقرينة أقوى منها وهي عدم شق القميص، فقال: سبحان الله متى كان الذئب حليماً كيساً يقتل يوسف ولا يشق قميصه! ولذا صرح بتكذيبه لهم في قوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ [يوسف: ١٨]^(٧٩)».

وقد أورد القرطبي في كتابه الجامع لأحكام القرآن قوله: «قال علماؤنا رحمة الله عليهم: لما أرادوا أن يجعلوا الدم علامة على صدقهم، قرن الله بحذو العلامة علامة تعارضها وهي سلامة القميص من التنيب، إذ لا يمكن افتراس الذئب ليوسف وهولا بس القميص ويسلم القميص من التخريق، ولما تأمل يعقوب - عليه السلام - القميص فلم يجد فيه خرقاً ولا أثراً استدلل بذلك على كذبهم وقال لهم: متى كان هذا الذئب حكيماً يأكل يوسف ولا يخرق القميص؟!»^(٨٠).

في يعقوب - عليه السلام - قد استخدم بعض القرائن لدلالة على كذبهم في دعواهم ومنها: طريقة التمزيق إذ لا تدل على أنه تمزيق ذئب بل تمزيق إنسان، وطريقة الخطاب من خلال قولهم [ولو كنا صادقين] وهذا فيه دليل على استخدام القرائن^(٨١).

٢- كون قميص يوسف قُد من دبر لا من قبل:

ومن ضمن العلامات التي تبطل بها حيلة المحتالين، وجود علامات ظاهرة تتناقض مع ما يدعون، ومن أمثلة ذلك هو كون قميص يوسف قد شق من دبره لا من قبله، وهو قرينة بينة على براءته وكذبها وبطلان حيلتها، فهذه قرينة جازمة على أنها هي التي كانت تلاحقه لا هو، ولهذا فإن المالكية يقيمون القرينة الجازمة مقام البينة مستدلين بجعل شاهد يوسف شق قميصه من دبر قرينة على صدقه وكذب المرأة...، ومن هنا أوجب مالك حد الخمر على من استنكه فشم في فيه ريح الخمر؛ لأن ريحها في فيه قرينة على شربه إياها^(٨٢)، فقله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨] يفهم من هذه الآية لزوم الحكم بالقرينة الواضحة الدالة على صدق أحد الخصمين وكذب الآخر؛ لأن ذكر الله لهذه القصة في معرض تسليم الاستدلال بتلك القرينة على براءة يوسف - عليه السلام - يدل على أن الحكم بمثل ذلك حق وصواب؛ وكون القميص مشقوق من جهة دبره دليل واضح على أنه هارب عنها وهي تنوشه^(٨٣) من خلفه^(٨٤).

نتائج البحث:

خلص الباحث إلى مجموعة من النتائج على النحو التالي:

- ١- موضوع الحيل لا يذم جملة، ولا يمدح جملة، وإنما المعيار في ذلك يرجع إلى نية الشخص، والدافع له لعمل تلك الحيلة، والنتيجة المترتبة عليها.
- ٢- تمييز بعض الأبناء على بعض من قبل آبائهم سبب لزرع العدوات والأحقاد في صدورهم، وقد يدفعهم ذلك لارتكاب جرائم بحق بعضهم، تصل أحياناً حد القتل أو الإخفاء القسري.
- ٣- المبادرة باقتراح العقاب إحدى الحيل التي يلجأ إليها المحتالون لصرف الأنظار عنهم.
- ٤- الحيلة التي أساسها باطلا لا تدوم، كإقصاء الآخرين والظهور على حسابهم، أو رميهم بتهم هم منها براء، ولا بد أن يحتف بها من القرائن ما يعجل بكشف عوارها وفضح سرها.

توصيات البحث:

- ١- أوصي وزارة التربية والتعليم مزيداً من الاهتمام بالقصص القرآني وإدراجها ضمن المناهج التعليمية؛ لما لها من الأثر التربوي البالغ في نفوس الناشئة.
- ٢- أوصي طلبة الدراسات العليا خصوصاً في مجال التفسير وعلوم القرآن بالبحث العلمي في المواضيع القرآنية وبالذات القصص القرآني، واستنباط ما تتضمنه من الدلالات والعبر، خصوصاً ما له علاقة مباشرة بموضوع الحياة اليومية، والتعاملات الإنسانية.

المصادر والمراجع:

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين بن محمد بن المختار الشنقيطي. ت: (١٣٩٣هـ). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت، لبنان، (١٤١٥هـ/١٩٩٥م).
- إعلام الموقعين. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. ت: (٧٥١هـ). تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤١١هـ/١٩٩١م).
- إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. ت: (٧٥١هـ). تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف: الرياض، المملكة العربية السعودية.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل. ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي. ت: (٦٨٥هـ). تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٤١٨هـ).
- البحر المحيط. أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي. ت: (٧٤٥هـ). تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر: بيروت، (١٤٢٠هـ).
- البحر المديد. أحمد بن محمد بن المهدي الشاذلي. ط ٢، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- تاج العروس من جواهر القاموس. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي. ت: (١٢٠٥هـ). تحقيق: مجموعة من المحققين، طبعة دار الفكر: بيروت.
- التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور التونسي. ت: (١٣٩٣هـ). الطبعة التونسية، دار سحنون للنشر والتوزيع: تونس، (١٩٩٧م).
- التعريفات. علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني. ت: (٨١٦هـ). حققه وضبطه وصححه جماعة من العلماء، ط ١، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- تفسير السمعاني. أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني. ت: (٤٨٩هـ). تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط ١، دار الوطن: الرياض، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م).
- تفسير القرآن العظيم. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. ت: (٧٧٤هـ). تحقيق: سامي محمد سلامة، ط ٢، دار طيبة للنشر والتوزيع: (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- التفسير المنير. وهبة الزحيلي. ط ٢، دار الفكر المعاصر: دمشق، (١٤١٨هـ).
- التفسير الوسيط. محمد سيد طنطاوي. ط ١، دار نخضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: الفجالة، القاهرة.

- التوقيف على مهمة التعريف. زين الدين محمد بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي. ت: (١٠٣١هـ).
- ط١، عالم الكتب: القاهرة، (١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. عبد الرحمن بن ناصر السعدي. تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة: (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م).
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = (صحيح البخاري). محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. ت: (٢٥٦هـ). تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي): (١٤٢٢هـ).
- الجامع لأحكام القرآن. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي. تحقيق هشام سمي البخاري، دار عالم الكتب: الرياض، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- الحيل وأثرها في العقوبات المقدرة. صالح السيف. لا توجد معلومات إضافية عن الكتاب.
- خواطر الإمام الشعراوي. محمد متولي الشعراوي. ت: (١٤١٨هـ). مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل، المطبوع، أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام ١٩٩٧م).
- روح البيان. إسماعيل حقي. ت: (١١٢٧هـ). دار الفكر: بيروت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي. ت: (١٢٧٠هـ). تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤١٥هـ).
- سلسلة التفسير. أبو عبد الله مصطفى بن العدوي شلباية المصري. مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، <http://www.islamweb.net>، تمت المشاهدة بتاريخ (١٦/٣/٢٠٢٤م).
- سنن ابن ماجه. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد. ت: (٢٧٣هـ). تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
- سنن أبو داود. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني. ت (٢٧٥هـ). تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية: صيدا، بيروت.
- الصحيح تاج اللغة وصحاح العربية. أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي. ت: (٣٩٣هـ). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين: بيروت، (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة. أبو محمد جلال الدين عبد الله بن نجم بن شاس بن نزار الجذامي السعدي المالكي. ت: (٦١٦هـ). دراسة وتحقيق: أ. د. حميد بن محمد لحمر، ط١، دار الغرب الإسلامي: بيروت، لبنان، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م).
- فتح القدير. محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني. ت: (١٢٥٠هـ). ط١، دار ابن كثير: دمشق، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

- في ظلال القرآن. سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي. ت: (١٣٨٥هـ). ط١٧، دار الشروق: بيروت، القاهرة، (١٤١٢هـ).
- القاموس المحيط. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. ت: (٨١٧هـ). تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقشوسي، (١٩٩٨م)، ط٨، مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م).

- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى. محمد بن صالح بن محمد العثيمين. ت: (١٤٢١هـ). ط٣، الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة، (١٤٢١هـ/٢٠٠١م).
- قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفى مخدوم. دار اشبيليا للنشر والتوزيع.
- القول الفصل في قضية الهم بين يوسف وامرأة العزيز. محمد أحمد إبراهيم سليم. لا توجد معلومات إضافية عن الكتاب.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جاز الله. ت: (٥٣٨هـ). ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، (١٤٠٧هـ).
- الكشف والبيان. أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري. ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، لبنان، (١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م).
- اللباب في علوم الكتاب. أبو حفص عمر بن علي الدمشقي. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، لبنان، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
- مجمع الأمثال. أحمد بن محمد الميداني النيسابوري. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة: بيروت.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية: لبنان.
- مختار الصحاح. زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي. (المتوفى: ٦٦٦هـ). تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط٥، المكتبة العصرية - الدار النموذجية: بيروت، صيدا، (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد بن محمد بن علي الفيومي. ت: (نحو ٧٧٠هـ). المكتبة العلمية: بيروت.
- معالم التنزيل. أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي. ت: (٥١٠هـ). تحقيق: محمد عبد الله النمر، وآخرون، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع: (١٤١٧هـ/١٩٩٧م).
- معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، أبو الحسين. ت: (٣٩٥هـ). تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
- المغني. أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي. ت: (٦٢٠هـ). مكتبة القاهرة: (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
- مفاتيح الغيب. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي. ت: (٦٠٦هـ). ط٣، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٤٢٠هـ).
- مقاصد الشريعة الإسلامية. محمد الطاهر بن عاشور التونسي. ت: (١٣٩٣هـ). تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر، (١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).
- المواقف. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي. ت: (٧٩٠هـ). تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط١، دار ابن عفان: (١٩٩٧م).

الحواشي:

- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، حديث رقم: (٣٤٦١)، ٤/١٧٠.
- (٢) مختار الصحاح، الرازي، ص ٨٦.
- (٣) تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ١٤/١٨٨.
- (٤) المرجع السابق، ١٤/١٨١.
- (٥) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ص ١٢٨٧.
- (٦) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص ١٥٠.
- (٧) تاج العروس، الزبيدي، ١٤/١٨١.
- (٨) الموافقات، الشاطبي، ٥/١٨٧.
- (٩) إعلام الموقعين، ابن قيم، ٣/١٨٨.
- (١٠) المغني، ابن قدامة، ٤/٤٣.
- (١١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، ٢/٨١٩.
- (١٢) التعريفات، الجرجاني، ص ٢٢٧.
- (١٣) انظر: [آل عمران: ٥٤]، و[الأنعام: ١٢٣، ١٢٤] و[الأعراف: ٩٩، ١١٢٣] و[الأنفال: ٣٠] و[يونس: ٢١] و[يوسف: ٣١، ١٠٢] و[الرعد: ٤٢، ٣٣] و[إبراهيم: ٤٦] و[النحل: ٢٦، ٤٥، ١٢٧] و[الإسراء: ٣٨] و[الأنبياء: ٢٦] و[الحج: ١٨] و[النمل: ٥٠، ٥١، ٧٠] و[سبأ: ٣٣] و[فاطر: ١٠، ٤٣] و[غافر: ٤٥] و[نوح: ٢٢].
- (١٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥/١٤٩.
- (١٥) لسان العرب، ابن منظور، ٣/٣٨٣.
- (١٦) التعريفات، الجرجاني، ص ١٨٩.
- (١٧) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٨/٤٨٨.
- (١٨) انظر: [آل عمران: ١٢٠] و[النساء: ٧٦] و[الأعراف: ١٨٣، ١٩٥] و[الأنفال: ١٨] و[هود: ٥٥] و[يوسف: ٥، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٥٠، ٥٢] و[طه: ٦٤، ٦٩] و[الأنبياء: ٥٧، ٧٠] و[الحج: ١٥] و[الصافات: ٦٩] و[غافر: ٢٥، ٣٧] و[الطور: ٤٢، ٤٦] و[القلم: ٤] و[المسرات: ٣٩] و[الطارق: ١٥، ١٦] و[الفيل: ٢].
- (١٩) معجم مقاييس اللغة، ٢/١٦١.
- (٢٠) المصباح المنير، الفيومي، ١/١٦٥.
- (٢١) إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، ابن القيم، ١/٣٤٠.
- (٢٢) القواعد المثلّية في صفات الله وأسمائه الحسنى، ص ٢٠.
- (٢٣) إغاثة اللفهان، ١/٣٨٦-٣٨٨.
- (٢٤) المرجع السابق، ابن القيم، ص ٣٧٩.
- (٢٥) انظر: قواعد الوسائل في الشريعة الإسلامية، مصطفى مخدوم، ص ٤٦٥.
- (٢٦) المرجع السابق، ص ٤٦٨.
- (٢٧) مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، ٣/٣٢٩.
- (٢٨) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي الدمشقي، ١١/٣٦.

- (٢٩) أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حيث أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الإسراء الطويل وفيه: (ثم عرج بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف صلى الله عليه وسلم، إذا هو قد أعطي شطر الحسن).
- كتاب الإيمان، باب الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى السموات وفرض الصلوات، حديث رقم: (٢٥٩)، ١/١٤٥.
- (٣٠) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٣١/٩.
- (٣١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في الرجل يفضل بعض أولاده في النحل، حديث رقم: (٣٥٤٤)، ٣/٢٩٣.
- (٣٢) الحيل وأثرها في العقوبات المقدرة، صالح السيف، ص ١٢.
- (٣٣) التفسير المنير، وهبة الزحيلي، ٣٢/١٣.
- (٣٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني ٤٢/٣.
- (٣٥) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٢٣٦/٩.
- (٣٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلَّذَّالِينَ﴾ [يوسف: ٧] حديث رقم: (٣٣٩٠)، ٤/١٥١، والإمام أحمد في مسنده، حديث رقم: (٥٧١٢)، ٥/١٩٨.
- وأما إخوة يوسف فقد ذكر أسماءهم صاحب كتاب البحر المديد فقال: إخوة يوسف لأبيه هم يهوذا، وروبييل، وشمعون، ولاوي، وريالون، ويشجر، ودينه من بنت خالته ليا تزوجها يعقوب أولاً فلما توفيت تزوج راحيل فولدت له بنيامين ويوسف... وأربعة آخرون من سريتين وهم دان، وتغثالي، وجاد وآشر.
- انظر: البحر المديد، الشاذلي، (٢٠٠٢م)، ٣/٣٥٤.
- (٣٧) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص الدمشقي، ٢٣/١١.
- (٣٨) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٢/٢٤٢.
- (٣٩) البحر المحیط، أبو حيان ٦/٢٤٩.
- (٤٠) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب فتنة النساء، حديث رقم: (٣٩٩٨)، دار إحياء الكتب العربية، ٢/١٣٢٥.
- (٤١) القول الفصل في قضية الهم بين يوسف وامرأة العزيز، محمد أحمد إبراهيم سليم، ١/١٦.
- (٤٢) خواطر الإمام الشعراوي، الشعراوي، ١١/٦٩٣٥.
- (٤٣) سلسلة التفسير، العدوى ٢٦/١٠، ١١/٦٩٣٥.
- (٤٤) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم ٤/٢٠١٥.
- (٤٥) تفسير السمعاني، السمعاني، ٣/١٢.
- (٤٦) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/٢٩٥.
- (٤٧) المرجع السابق، ٤/٢٩٥.
- (٤٨) الكشف والبيان، النيسابوري، ٥/٢١٠.
- (٤٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/١٧٧.
- (٥٠) روح البيان، إسماعيل حقي، ٤/٢٤٦.
- (٥١) التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ٧/٣٥٢.
- (٥٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٣/١٦٢.
- (٥٣) خواطر الإمام الشعراوي، ١/٤٣٩٩.
- (٥٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/٣٢٩.
- (٥٥) فتح القدير، الشوكاني، ٣/٥٣.

- (٥٦) البحر المديد، الشاذلي، ٣/٣٧٢.
- (٥٧) الكشف، الزمخشري ٢/٤٥٩.
- (٥٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، ٦/٤٠٩.
- (٥٩) خواطر الإمام الشعراوي، ١/٤٣٩٢.
- (٦٠) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص الدمشقي، ١١/٧٥.
- (٦١) مفاتيح الغيب، الرازي، ١٨/٩٨.
- (٦٢) مجمع الأمثال، النيسابوري، ١/٢٠٧.
- (٦٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، ١/٤٠٢.
- (٦٤) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/٣٣٣.
- (٦٥) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص الدمشقي، ١١/١٦٩.
- (٦٦) المحرر الوجيز، ابن عطية، ٣/٢٧٤.
- (٦٧) خواطر الإمام الشعراوي، ص ١٦٥٩.
- (٦٨) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، ٧/٣٢٩.
- (٦٩) معالم التنزيل، البغوي، ٤/٢٢٢.
- (٧٠) خواطر الإمام الشعراوي، ص ٤٣٧٨.
- (٧١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ٩/١٤٤.
- (٧٢) المرجع السابق، ٩/١٤٥.
- (٧٣) التفسير الوسيط، سيد طنطاوي، ٧/٣٢٩.
- (٧٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/٣٧٥.
- (٧٥) التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، ٢/١٠٩٧.
- (٧٦) سلسلة التفسير، مصطفى العدوي، ٢٦/١٠.
- (٧٧) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٤/٣٠٤.
- (٧٨) المرجع السابق، ٤/٢٩٦.
- (٧٩) أضواء البيان، الشنقيطي، ٢/٢١٦.
- (٨٠) ٩/١٤٩.
- (٨١) انظر: سلسلة التفسير، مصطفى العدوي، ٢٥/١٢.
- ومن هنا فقد استخدم العلماء القرائن في إثبات الأحكام أو عدمها عند عدم توفر الشهود ومن ذلك ما يروى أن شريحاً القاضي رحمه الله أتى إليه خصمان يختصمان في وشاح أحمر يغطي به الرأس وكل يدعي أنه له، فقال لهذا امتشط على ثوب أبيض فامتشط، وقال للآخر: امتشط على ثوب أبيض فامتشط، فالذي نزل منه شعر أحمر زائد حكم له به وهذا من إعمال القرائن، المرجع السابق، ٣/٢٦.
- (٨٢) انظر: عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، السعدي، ٣/١١٧٧.
- (٨٣) النوش: هو التناول باليد، يقال: ناشه بيده ينوشه نوشاً: تناوله؛ قال دريد بن الصمة:
فجئت إليه، والرماح تنوشه، ... كوقع الصياصي في النسيج الممدد
انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٦/٣٦١.
- (٨٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، ١٣/٢٩.